

.. والقبليّة النقدية أيضاً !

بقلم عبد المحيّي دياب

الى القاع المتباطئ الكسول الذي لم يهيبء نفسه للعمل الجاد المفيد .
وأود ان أقرر في هذا المقام انني لم اقصد ان انال من بعض اعضاء
هذه القبائل او كلهم ، ولم اهدف بهذه المقالات الا ان اضع يد المصلحين
على الداء الذي يتهدد حياتنا الفكرية والادبية والسياسية كذلك بالخطر
الداهم الحاطم ، حتى يستطيعوا معالجته في النفوس والمشاعر .

ولكن هذا لا يمنعي من ان اقرر كذلك انني اغضبت بعض ممن
تناولتهم ، وسيفضب من سأتناولهم ، نعم سيفضب هؤلاء وهؤلاء جميعا
بالرغم من تاكيدي لهم بانني لم اقصد النيل منهم قدرما اقصد
تقرير مشكلة خطيرة كهذه لها من زلزلة القيم الرائدة مالها ،
سيفضبون وسيفضبون ، وسيقولون .. وسيقولون ، وسيمشي اناس
منهم في المدينة يرجفون فيها ...

وربما يشفق علي بعض القراء وخاصة في مصر لما لهذه القبائل
الناقدة من صولات وجولات غير مستقيمة لمن يعرض لها بالنقد
او بالتعريض ...

بيد اني سرعان ما قتلت هذا الخاطر بقلبي الذي لا يستهدف
الا الحق والخير والجمال ، ومصالحة الوطن التي هي اعلى ممن
كل شيء عندي .

وهانذا اتقدم بحديثي هذا الى المصلحين عليهم يستفيدون به فسي
مجال دراساتهم وميادين اصلاحهم . اما الخوف من الايذاء والمكروه،
والمصائب والانواء ، والخطوب والاعاصير التي ربما تنتظرني ممن
تعرضت لهم وساتعرض لهم ، فيعلم القارئ ان هذه وتلك ليس لها
عندي حساب ، اللهم الا التحدي وليكن ما يكون ..

بواعث القبليّة :

ولكي نفهم بواعث القبليّة بصفة عامة عند العرب يجب ان نشير
الى ظاهرة تكاد تكون من المسلمات في التفكير العربي واليها ترجع
نشأة هذه القبليّة عند العرب .. وهذه الظاهرة تتمثل في
انعدام روح الفريق ، بحيث يركز كل فرد الاعمال الجليلة نحوه،
سواء اكانت في المؤسسة التي يعمل بها ، او في الحي الذي يسكنه ، او
في الميدان الذي يبدع فيه .. او .. او .. الى اخره

وهو في مركزته لهذا العمل نحوه ، ونسبته اليه انما يغطم الاخرين
حقوقهم التي يستحقونها بما قاموا به تجاه هذا العمل .

ونعتقد اننا لسنا مجانبين للصواب حينما نقول : ان هذه
الظاهرة سبب في فساد الكثير من اعمالنا ، حينما ياخذ الواحد
منا على عاتقه القيام بمهمة ما ، ثم يتوانى في انجازها شيئا
فشيئا حتى يفشل في مهمته ، ويتم واد المشروع على يديه .

ذلك انه لا بد لكل عمل من ايد محركة كثيرة ، ومن افكار تهدي
الايدي نحو العمل السديد ، وترسم له المنهج الذي تسلكه تلك
الايدي ، ولا يمكن ان يقوم انسان ما - اي انسان - بعمل ما وحده،
لان هذا مخالف لاولى البديهيات في علم الاجتماع ، وهي ان الانسان
مدني بطبعه ، كما يقول ابن خلدون ، ومخالف كذلك لقول بعض
الحكماء « المرء قليل بنفسه كثير باخوانه » .

على انه يمكن ان نستدل على هذه الظاهرة بدليل قاطع لا يمكن ان ياتي
اليه التكذيب من اي جانب ، لانه واضح وملموس للكثيرين .. ويمكننا
ان نلمسه في اكثر من جانب ...

« وهذه الثورة العربية تحتاج الى ان تلح نفسها بالوعى القائم على
الاقتناع العلمي الناتج من الفكر المستنير، والناتج من المناقشة الحرة
التي تتمرد على سيطر التعصب او الارهاب »

الميثاق الوطني - الباب الثاني

حينما كتبت مقالي السابق « القبليّة النقدية في مصر » لم اكن
اعني وجود هذه القبليّة في مصر وحدها ، وعدم وجودها في البلاد
العربية الاخرى ، وانما كنت اعني وجودها في البلاد العربية جمعاء
على مستوى واحد من سلوكها المتسوى ، وانحرافها عن النجادة ،
وخطرها المرتقب .

ولما لم اكن على معرفة تامة بما يقابل تلك القبائل في البلاد العربية
لكي اتحدث عنها على مستوى تلك البلاد قاطبة ، كان لا بد من ان
اوتر الحديث عنها في مصر فقط ، ولا يعني هذا انها غير موجودة
بالضرورة في تلك البلاد العربية ، لانني قصرت الحديث فيها على مصر . لان مصر
ما هي الا دوحه فيناتة في ذلك البستان العظيم الذي يهدف الفكر والناس
في لم شتاته وجمع شعبه .. وذلك البستان هو الوطن العربي الكبير،
والحديث عن الجزء لارادة الكل سانخ في الادب والفكر العربي على
سواء .

ومن واجبتنا في هذا المقال ان نظمئن الاخ الدكتور عبدالرحمن اللبان
الذي علق على « القبليّة النقدية في مصر » بقوله « يود القارئ لو طلع
عليه الكاتب يعرض ظاهرة التكتلات النقدية » ، وبقوله « ان القبائل
الناقدة معروفة في كل العصور الادبية ، وهذه مشكلة ناجمة عن
كوننا ما زلنا في مراحل الطفولة من نمونا الاجتماعي والادبي » .

اقول من واجبتنا ان نظمئن الاخ الدكتور ، فانليس له اننا لن نقتصر على
تلك المقالة السابقة ، بل سنتبعها في هذه المشكلة باخرى واخرى ،
ملتقطين حبل حديثنا كما اشار اليه الدكتور نفسه في تعليقه « نحن
في مراحل الطفولة من نمونا الاجتماعي والادبي » .

ومن ثم فاننا نعتقد اننا نقف وجهها لوجه امام جوهر الموضوع،
وصميم المشكلة .. تلك التي لها خطرها وجلالها في زلزلة القيم،
واهتار مبدئين انسانيين يتمثلان في تكافؤ الفرص ، واتبفاء للاصلاح .

ولعل الامانة فيما نأخذ به انفسنا في كل ما نخطه شبةا قلننا،
او لهة لساننا ، وكذلك ايماننا بوطننا العربي الكبير ، يفرضان علينا
ان نقوم بدور الريادة في هذا الموضوع ، مطرحين علاقتنا الشخصية
بافراد هذه القبائل النقدية وراء ظهورنا . ومستهدفين في ذلك
الله والوطن والحق والخير والجمال .

كما اننا نعتقد ان دورنا يحتم علينا ان نتبع جذور هذه
القبليّة في كل المجالات ، لكي نكشف عن حقيقتها ، ويفتح امرها،
ويعرفها الجميع من ابناء الوطن المفدى ، في مظانها السابقة حتى
يستطيعوا اقتلاعها والتخلص منها، او على الاقل اجتناب القائمين بها،
والمروجين لها .

ورائدنا في ذلك ونحن نرى الوطن العربي المفدى انه لا بد ان
نختبر الارض التي نقف عليها ، ونروضاها لتعرف جيدا موقفنا منها
على حقيقتها ، ويتسنى لنا حينئذ السير قدما الى الامام نحو الغاية
المشودة التي تهدف الى تحقيق الاشتراكية الحقّة للشعب العربي،
وتكافؤ الفرص للمواطنين ، ليصعد الى القمة من هو بها جدير، ويهوى

فمن جانب التربية الرياضية ، فانك ترى فرقنا الرياضيــــــــــــــــة الجماعية كفرق كرة القدم لا تغلب الا في القليل الاقل ، وتهزم في الكثير الاكثر ، وفي كلنا الحاليتين : حالتي النصر والهزيمة تجسد الفريق على مستوى واحد في اللعب ، غير انه حينما تنفتح تلك الروح - انعدام روح الفريق - يهزم الفريق لا محالة في ذلك ، لان كل لاعب من الفريق انما يعرض كل ما عنده من عضلات في لعبه غير مكثرت بزميله الذي ينتظر منه ان يناوله الكرة .

وليس ادل على ذلك من ان اللاعب عبدالكريم صقر ، ياخذ الكرة من اول الملعب الى اخره فوق راسه ، ولا يسمح لاي انسان ان ياخذ منه الكرة حتى ولو كان من اعضاء فريقه ، وفي النهاية تجده قد تعب واخذت منه الكرة للاعبين الاخرين .. اقول اذا سيطرت هذه الروح على الفريق يهزم . واذا انعدمت هذه الروح بين اللاعبين تراه يفوز على الفريق الذي يلاعبه ، او يقرب في الاصابات التي يسجلها ضد بعض الفرق التي تصد في الدرجة الاولى من الفرق الدولية . اما اذا كانت الالعاب الرياضية تعتمد على الفردية ، فانك لو اوجدت ان لاعبا يتقدم للاعبين الدوليين ، ويكون اولهم ، او من الخمسة الاوائل على الاقل ، وذلك في اسبحة والعب القوي وغيرهما .

والجانب الثاني هو التربية الفنية ، وهذه هي الاخرى قد بلغنا فيها فردا فردا ، فعدنا مثلا عبدالوهاب ، وعدنا كذلك ام كلثوم ، ووديع الصافي ، وفيروز ، وغيرهم من الجنين ، ولكن ليس عندنا فرقة جماعية تستطيع ان تغني غناء جماعيا يترجم عن روح هذا الشعب ، بل انك لو جئت بعد الوهاب او وديع الصافي ، او بام كلثوم وفيروز في فرقة جماعية ليغني كل منهم في هذه الفرقة مع اخرين ، لما نبغ واحد منهم في اطار الجماعة نبوغه وهو يعني منفردا . ولعل تمثيلنا بالتربية الرياضية والتربية الفنية تكون موفقيين في ذلك التمثيل ، لانهما اوضح دليل على انعدام روح الفريق بين العرب ، وذلك على الرغم من ان علماء الحضارة يذهبون الى ان كلا من التربية الرياضية والتربية الفنية هما الدليل اكب الدليل على رقي الامم .

ونستطيع بعد ذلك ان نقول في التفكير عند العرب : انه تفكير فردي في الغالب الامم ، جماعي بحكم القانون ، لا بحكم الطبع والامزجة .

ومعنى هذا ان التفكير الجماعي لا يبدو الا في الامور التي يظهر فيها توجيه الدولة للمفكرين نحو مشروع معين ، وهذا هو السبب في عدم تكوين اتجاه فكري يفلسف امال الشعب وامانيه في الماضي ، كما انه هو السبب ايضا في عدم ايجاد مذهب ادبي يحمل روح العرب ، ويعبر عن ذواتهم ، ويتسق مع فلسفتهم في الحياة ، ونظرتهم الى الكون والوجود ، وذلك بدلا من الخلط في الادب الاجنبية العديدة ، ذلك الخلط الذي لا يمثل مذهبا معينا ، ولا يعبر عنه جنس بعينه ولا عنه لفة بعينها ، ثم وقوف مفكرينا وادبائنا امام هذه الادب موقف القردة المدربة على التقليد والمحاكاة ، مع الحكم بالفناء عقلهم البشري على مذهب هذه الادب الوافدة قربانا وزلفى لدارسيها ومبديعها من الغربيين .

ومهما يكن من امر فان هذه الظاهرة ترجع اول ما ترجع الى ان الاستعمار الذي كان يهدف الى تفريق العرب كشعوب وكجماعات على مبدأ « فرق تسد » ، وفي الوقت نفسه كان ينمي فيهم الشخصية الفردية ، ومن ثم نشأ بين العرب اصحاب المصالح الشخصية الذين باعوا اوطانهم للشيطان ، وهانت عليهم انفسهم واستمروا الخنوع والخذلان ، وضحوا بكل القيم المثالية في سبيل ماديات حقيرة ، دفع ثمنها الوطن العربي غاليا .

وخلاصة الخلاصات في وسائل الاستعمار الى ذلك الهدف كانت تكمن في مجال التربية والتعليم ، وذلك نظرا لاهمية الدور القيادي في المجال الفكري الذي تقوم به المدرسة العربية في الوطن الكبير لابنائنا وبناتنا بناء المستقبل البسام ..

ولقد تمت للاستعمار السيطرة على التعليم عن طريق مستشاريه الذين نصبهم على وزارات التربية في البلاد العربية ، وهؤلاء المشارون جهدوا على ان يحووا اللغة العربية كأداة للتعليم ، وانما كانت تدرس كمادة منفصلة لا يصل نصاب حصصها نصف نصاب لقسمة المسمر التي كان يدرس بها المواد الاخرى من كيمياء وطبيــــــــــــــــة ورياضيات وغيرها .. .

ومن ناحية الاسس الفكرية في تاليف المواد فلم تكن على اسس نورية عميقة او تدعم الصلات الثقافية والسياسية والاجتماعية بين البلاد العربية ، وان تربط التلميذ بواقعه ، بل جعلت بينه وبين الواقع سدا منيعا ، لا يقدر على اقتحامه اذا ما اتحت له فرصة النزول الى معترك الحياة .. .

والذي لا شك فيه ان المدرسة العربية بهذا الوصف كانت تمثل انعزالا تاما عن الميدان الثوري الواقعي الى حد ما ، وكانت تمثل مزعة للحكام في ذلك العصر .. .

ولا ادل على ذلك من ان مادة التاريخ مثلا تعتبر منبرا للدعاية لهؤلاء الحكام ، فمثلا المواقع التي كانت البسالة فيها للجيش .. للشعب .. كانت تنسب الشجاعة فيها لاناس كانوا بعيدين عن المعركة تماما ، وقد يكون امر هؤلاء الحكام كامر فاروق وعبدالله من معركتنا في فلسطين ، يعلنان الحرب ، ثم يخونان الجيش الذي يزعم ان كلا منهما قائده الاعلى ، ويخون كل منهما وطنه الذي يزعم انه مليكه ، يخون كل منهما هؤلاء وهؤلاء ، ويخون معهم ايضا القضية الفلسطينية ومع ذلك كانت الكتب في مدارسنا العربية تنسب للحكام من هذا الطراز الشجاعة والبسالة .. تنسب للقائد الاعلى الذي يقضي ليله معربدا سهران مخمورا .. قائد الجيش الذي لم ينزل بها ارض المعركة قط ، ولم يعرف مكانها .

ولا ادل على ذلك ايضا من مادة اللغة العربية التي تتحدث كتبها عن المدائح التي قيلت في الحكام .. وعن عيد ميلاد الملك ، وعن مجد آباءه واجداده ، وتنسى كتب مدارسنا العربية - طالة - الشعب الذي هو بالحديث احق واجدر تنسى الشعب الذي صنع ابطلال ثورتنا وعلماءنا ومفكرينا وشبابنا وشاباتنا .. تنسى مجد هذا الشعب لا مجد الملك .. تنسى صبره على الازمات التي حلت به ، والتي اجتازها واحدة بعد الاخرى في سبيل مصلحة الوطن العليا .

ومن ثم فانك لو اوجدت ان تلاميذ مدارسنا في ذلك الحين يمثل الكثير الاكثر منهم الانطوائية والتفرنج وادعاء المودرنيزم ، والخروج على اصله الذي منه نشأ .. وكذلك فانك لا تنتظر منه خيرا لامته وشعبه .

ومن ناحية اخرى فانه لا بد لنا ان نعرض للاتجاه العام للعملية التربوية في مدارسنا العربية ، وحسبنا في هذا المقام ان نعلم ان الدافع الفردي هو الذي يسيطر على العملية التربوية ، وذلك من حيث الواقع الفعلي ، لا من حيث ما هو مدون في المناهج واذهان المربين الذين يسيطرون على تقويم العملية التربوية في المدرسة العربية . ونحن لا نعيب ذلك الاتجاه من حيث انه يجعل للفرد قيمة عليا ، وانما نعيبه لان نتيجة الاخذ به فقط هي انعدام روح الفريق في المواطنين ، ومن هنا كان خطره جسيما . حقيقة ان المناهج تقول بان هدف التربية هو تشكيل الفرد اجتماعيا حتى يتمكن من المساهمة في حياة الجماعة ومظاهر نشاطها ، ومن اجل هذا فهموا المدرسة على انها مجتمع مليء بالخيرات ، ومن هنا اخذوا في تزويدها بكل ما ينمي هذا الهدف لدى التلاميذ .

حقيقة ان هذا هو المدون على الورق ، والمنفذ فعلا من حيث ايجاد الوسائل ، لكن الذي يحدث غير هذا ، ولكن لماذا ؟

لان المدرسة غير عابثة ولا مهتمة بنمو الطفل الذاتي ، من حيث انه نقطة البداية في العملية التربوية ، ولا بتحرير قدراته ، وعدم تدخل الكبار في نموه ، كما لا تهدف الى تشكيل التلميذ اجتماعيا حتى يتمكن في النهاية من مواجهة واقع الحياة ، ومن المساهمة في حياة الجماعة

ومظاهر نشاطها ..

ونوضح أكثر فنقول ! من الذي يقوم بتنفيذ هذا الاتجاه فسي مدارسنا ؟؟

سيجيب القارئ على الفور قائلا المدرس ، ونجيب نحن فنقول ان المدرس الذي يقوم بالتدريس رجل تخرج واقسم فيما بينه وبين نفسه الا يقرأ ثانية ، لانه ليس عنده وقت من ناحيته ، وليس بحاجة السي القراءة ودفع أثمان للكتب التي سيقراها وهو في حاجة الى هذه النقود . ومعنى هذا انه وقف في نظوره ، فلا يفهم اذن من هذه من هذا الاتجاه شيئا ، وانما يقرأه ولا يستطيع تطبيقه في الفصل .

وبجانب ذلك فان هذا الاتجاه نفسه ليس محققا بين المدرسين انفسهم اذ ان التلميذ معرض لمواصف شتى تهب عليه من كل الجهات ، وهي تحمل في طياتها تحطيمه حتى تجعل منه انسانا مشدوها يرقب ما يدور في الفصل في خوف وحذر ، والفصل في المدرسة الرئيسية عبارة عن معرض لحشد من المدرسين الذين لاتجمعهم رابطة ولا اتفاق في المشاعر ولا وحدة في العمل ، ولا غير ذلك من الصلات التي يجب ان تتحقق في المدرسة الحديثة التي تهدف الى بناء أمة وتكوين دولة . والنتيجة التي تبرز من وراء ذلك ان كل مدرس يهدم مايعمله زميله ، او يهتم بمادته هو على الاقل .

ومعنى هذا ان كل مدرس عالم بأسره ، له احواله وطبيعته التي لاتختلط بأحوال وطباع العوالم الاخرى من زملائه .

ولسنا بحاجة الى ان نقول في شأن المادة الواحدة ان مدرسها لايتادون يجتمعون أيضا على أي رأي او اتجاه ، لانهم مختلفو المؤهل والتربية والتكوين الشخصي ، وكل منهم يرى في نفسه انه أحق بمكان الصدارة ، وله شكواه ومبرراتها من واقع نفسه طبعاً ، ولم يدفع ثمن هذا كله غالياً سوى أمتنا في أمر شيء لديها وهو ثمارها من أبنائها الغزاء .

وكم كان بؤسنا الا تكمن ظاهرة عدم وجود روح الفريق في الجامعة بين الجامعيين العرب في كل جامعة ، وفي كل قطر من الاقطار العربية . نعم كم كان بؤسنا الا يكون لها موطن في ذلك العمل الكبير الذي يصهر في بوتقته عقول شبابنا وشاباتنا ، ذلك لان الذين يعملون في الجامعات اناس وصلوا الى ارقى الدرجات الجامعية ، لكن ودنا هذا ليس بنافع ولا شافع ، وما حسابنا في هذا الصدد الا كالسراب الذي يخيل للظمان انه ماء ، لان الذي ثبت حقيقة ان الجامعات ميدان خصيب لان تكمن هذه الظاهرة فيها لآلريم .

ولا ادل على ذلك مما يبدو في التأليف العلمي حينما يشتترك أساتذان في تدريس مادة ما ، ويضع كل منهما كتابا في هذه المادة ، فالويل كل الويل اذن ان يأتي احد طلبته هذا ببعض المعلومات من كتاب ذلك في اجابته ، فاذا تم له هذا فقد ضمن الرسوب مائة فيسي المائة ، ولا عيب على الاسناد في ذلك ، لان هذا هو المنهج الاكاديمي في الدراسة .

وبجانب هذا فان هناك صورة اخرى تتمثل في ان يقدم بعض الاساتذة على منع ناشر من طبع كتاب زميل له يصغره في السن وفي نفس الكلية والقسم الذي يعمل به ، ويعمد الاسناد الكبير الى محاربة زميله مخافة ان يغطي عليه ..

كما ان الصحافة في البلاد العربية لها دخل كبير في العمل على انعدام روح الفريق بين المواطنين العرب ، اذ هي ميدان لخلق الجبايرة ، وزلزلة القيم ، واشهار من لا يستحق الشهرة ، في الوقت الذي تنترك فيه الافكاء المنازين في زاوية النسيان يعملون لان ضميرهم واخلاصهم للوطن هما اللذان يوحيان اليهم بالعمل ، لا يعملون ليقال انهم عملوا كذا وكذا ، وتأتي الصحف حينئذ لتلهل وتطبل وتنشر الاخبار القصصا والاحاديث الطوال متوجة بصورهم ، الامر الذي يثير الكثيرين ممن يعملون في البيادين كجنود مجهولين ، كما يثير القراء الراشدين ايضا الذين يعرفون حقيقة الوضع الذي تتحدث عنه الصحيفة ، فيفتقدون باديء ذي بدء ان الصحيفة تقترض فيهم الغفلة والبلاهة ، والا ماكان لها

ان تكتب ما كتبت .. ولسنا نعرف السبب فيما تسلكه صحافتنا العربية من نسبتها بعض المشاريع التي يقوم بها عدد من الموظفين في مصلحة من المصالح ، او مؤسسة من المؤسسات الى رئيس المصلحة او المؤسسة . وذلك حينما تنشر الموضوع وبجواره صورة لرئيس هذه المصلحة ناسبة هذا المشروع اليه ، غافلة عن الجندي المجهول في المصلحة او المؤسسة الذي ابتكر هذا المشروع حقيقة ، وقام بتنفيذه .. غافلة عن الموظفين الصغار الذين يسرهم ان يجدوا تشجيعا من الدولة على ابتكارهم واخلاصهم في العمل الذي يقومون به ..

ولقد كان لهذا السلوك من جانب الصحافة انعكاس على جانب كبير من الخطورة التي كادت ان توقف ملكة الابتكار عند هؤلاء الباحثين والدارسين في مصالحننا الحكومية في الوطن العربي ، وفي الوقت نفسه يجعلهم يائسين من اصلاح الاحوال في بلدنا المفدى مادامت القيم شأنها هكذا من الهوان ، وبالتالي يقضي على الوازع الخلقي عند الرؤساء ، لان كلا منهم سيقلد زميله ، ويجري لاهثا وراء مندوبي الصحف ومحرريها عساهم يكتبون عنهم وعن المشروعات المنفذة في المصالح التي يديرونها . وقد يكون هذا نوعا من التقدم الصحفي من حيث فنية الصحافة ، وهو ان يبحث المحرر عن رئيس او شخصية كبيرة ، لينسب اليها عمل الاخرين كي يحظى موضوعه بتقدير المسؤولين في الجريدة والقراء معا . غير اننا نعتقد ان الصحافة بعملها هذا تحطم روح الفريق وتعدمها على مذبح تهريجها وسطحيتها ، لانها لاتعنى الا بما هو كبير ، ولو كان غير عامل في المصلحة العامة ، وهذا يؤدي بدوره الى قتل مواهب الشباب والموظفين الصغار ولا يتيح لهم الفرصة لان يتعرف عليهم المسؤولون من خلال اعمالهم فيقندروهم .. اجل ، ان الصحافة بعملها هذا تهمل الشباب المرصوف طريقه بالضحايا ، والذي لايمكك الوسائل التي يجعلها تهتم به ، اذ انها لاتنشر الا لمن كان قادرا فيسغو على المحرر بالهدايا والدعوات وغير ذلك من الاشياء التي تؤلف بين المحرر والطبيب او المحامي .. او .. او . الى اخره .

في الاسواق

ثأملات وجوردي

بقلم الدكتور

زكريا ابراهيم

■ لون جديد لم يعرفه الادب العربي من قبل

■ خواطر ويوميات تشتعل بالفكر والحياة وتتناول مشاكل الوجود والموت والعدم والظلام ، وتذكرنا بيوميات كيركجورد وغابرييل مارسيل .

■ مذكرات حية تلوح كلمع من النجوم وسط حلقة الجفاف الاكاديمي .

■ كتاب هام يعيش قضية « الفكر » وسوف يكون بدء سير في طريق جديد من طرق التعبير بالعربية

منشورات دار الاداب

الثنمن ٢٥٠ ق.ل

نسيب العودة

من وحي شهداء الحرية في اليمن

هناك فوق قمة الضياء في حدائق الافق
والنيل ينسج المروج بالجنى والشعب ينطلق
تأملوا الابطال ، هذه دماؤهم على الشفق
تقبل الوديان ، والحياة بالفداء تنبثق

*

ولترفع الجبين عاليا فانهم يشاهدون
الوية النصر ترف حرة على حمى العرين
ولنفرش الطريق بالزهور للاباء والبنين
تحية للخالدين من طلائع المناضلين

*

على ربي « صرواح » والظلام مطبق على الوجود
وألف عام من هوان يسحق الاطفال في الهود
مضوا يهزون الشروق ينشرون عالي النود
فيقتلون ، يقتلون في هوى الحياة والخلود

*

هيا الى الوادي الامين يرافق نجتني السلام
ونجتلى انوار من اردوا هنا جحافل الظلام
أرواحهم تسرى بنا في موكب الحياة للامام
جراحهم تشع في صدورنا الفخار كالوسام

*

لا تخفق الشفاه بالوداع ، انهم سيرجعون
سيرجعون في الربيع ناضرا على مندى السنين
سيرجعون والحصاد في الربى والطير في الفصون
سيرجعون بسمة على الثغور قررة العيون

*

المجد للشعب العريق يفتدي بروحه حماه
للبعث جيلا بعد جيل يقهر الخوان الطفاه
للغارسين بالدماء دوحه السلام والحياه
للعائدين يشهدون مجدهم ، فلترفع الجباه

حسن فتح الباب

القاهرة

ومن ثم كان لابد للشباب من ان يضع بين براثن الكبار القادرين،
وتصبح الحياة لمن له ظفر وناب على حد قول شوقي :

ودعوى القوي كدعوى السباع من الناب والظفر برهانها ..
ولقد كان هذا الخلق الصحفي - ازاء الجماعة الذين يتكونون بلهيب
العمل - ضربا من خلق انعدام روح الفريق في وطننا العربي .

ويسوقنا الحديث عن الصورة الماضية التي نلمسها في ميدان
صاحبة الجلالة التي تهتم الصحافة فيها بالرؤساء والكبار ، الى اهتمام
آخر برجال المجتمع وسيداتنا مهمله بهذا السواد الاعظم من الشعب ..
وخلاصة الخلاصات التي تقال في هذه الصورة ان الصحافة لا تهتم
الا بالنجوم من الكتاب كما تسميهم ، وترك الشباب الناهض الذي يعمل
ويخلص في العمل ، ويجد والناس هازلون ، تركهم بدون التنويه عن
أي عمل أدبي لهم فضلا عن الاحاديث الطويلة ، التي يحظى بها كبار
الكتاب ، والتي تتضمن أحيانا الحديث عن المرأة التي كانت وراءه ، والتي
كانت سببا في مجده .

ومعنى هذا ان الصحافة بهذا العمل لها يد طولى ، وفضل لا يجحد
في زلزلة القيم ، والعمل على انعدام روح الفريق بين المواطنين ، وانها
لا تهتم الا بمن ينتمي لكبير من العاملين في ميادينها من الشباب ، واذا لم
ينتم الشباب الى كبير فليذهب الى حيث الفت رحلها . او اولى به
ان تميد به الارض ، لان بطنها خير له من ظهرها .. ليفعل مايشاء فما
هو بمحرك ساكنا ، ولا يسمع صوتا ، لان الابواب قد غلقت امامه
وأحكم اغلاقها ..

**

وقد كان لوجود هذه الظاهرة - ظاهرة انعدام روح الفريق - في
الميادين السابقة أثر على التفكير العربي ، كان من نتيجته ظهور هذه
القبائل التي نحن بصدد الحديث عنها ، وعن طريق هذه القبائل بعثت
العصبيات من مرفدها ، الى درجة ان رانحتها فاحت حتى زكمت أنوف
العقلاء من الدارسين الناصحين ، وفي الوقت نفسه اصابت شدة الادب
وهوانه بخيبة امل فيما كانوا يرجونه في هؤلاء النقاد والفكرين الذين
ابتعثوا تلك العصبيات واقاموا لها نوات ومهرجانات ، واتخذوها منهجا
وهاديا ونصيرا . ونحن نتساءل ، وبحق لنا ان نتساءل في هذا المقام . هل
يوجد انسان ما يدفن رأسه في الرمال محاولا اخفائها ، لكي لا يرى ما يدور
في حياتنا الفكرية والادبية ، وذلك لكي يقول في النهاية ان الحالة في
الادب والفكر على مايرام ؟

انني اعتقد انه لا يوجد ذلك الانسان الذي يرضى ان يقوم بذلك
الدور التمثيلي ، واذا وجد وقال هذه القولة الطالمة فلحساب من
يقولها !؟

ومهما يكن من أمر فان هذه القبائل النقدية تمور بانواع من
الصراعات تأسست على الظاهرة العامة في شتى مجالاتها في التفكير
العربي وهي انعدام روح الفريق التي سبق الحديث عنها ..
وقد بدت هذه الصراعات في صور عديدة ، فمنها ماحدث بين
الشيوخ والشباب :

والصراع بين الشيوخ والشباب هو ما يحدث بين جيلين يعاصران
بعضهما البعض ، وهذان الجيلان يمثلان الشيوخ والشباب في عالم الفكر .
ويكاد يتفق الشباب على ان الشيوخ متعصبون ، لانهم لا يتبحون
للشباب الفرصة لكي يحققوا ذواتهم عن طريق الكتابة ، وفي الوقت
نفسه نرى ان الشيوخ يتفقون على ان الشباب عابثون ، لا يأخذون انفسهم
بالشدة لكي يصبحوا مفكرين وأدباء ، لان هذا الطريق وعر المسالك
مرصوف بالضحايا ، ويذكرون في كل مناسبة وغير مناسبة ماحدث لهم
حتى وصلوا الى ماوصلوا اليه .

وبجانب ذلك فان الشباب لا يستمع الى توجيه الرواد الكبار ، ومن
هنا فانهم ينزعون الى الضحالة والسهولة في المضمون والتبسيط فني
كل تجاربهم الادبية ، حتى انك لترى ادبهم عبارة عن محاولات لاتصعب
على كل من تعلم القراءة والكتابة .

- التتمة على الصفحة ٧٧ -

والقلبية النقدية ايضا . .

— تنمة المنشور على الصفحة ٣٠ —

ونحن ازاء هذا كله حريصون على ان نضع الامور في نصابها فنذهب مع الشباب لنرى : هل الشيوخ حفيظة متعصبون يقطعون الطريق على الشباب ؟ ومن ناحية اخرى ننهض سلوك الشباب واعمالهم لنرى : هل دعوة الشيوخ لازالت قائمة ؟ وان هؤلاء الشباب لا يستحقون التشجيع ونشر انتاجهم او اجازتهم من أي مؤسسة ثقافية ، وانما الذي يجب لهم فقط شيء واحد وهو مصادرة انتاجهم . .

غير اننا قبل ان نتحدث عن هؤلاء وهؤلاء ، يجب ان نتعرف اولاً على الشيوخ الذين يزعم الشباب انهم متعصبون ، وحينئذ فقط يحق لنا ان نتساءل : هل نعتد في معرفة هؤلاء على عامل السن فيصبح الشيخ هو العمر فقط ، وغير العمر ليس بالشيخ ؟ ام نعتد في معرفتهم على عدم اتاحتهم الفرصة للآخرين لكي يحققوا ذواتهم — كما اشرنا الى ذلك قبلاً — في المؤسسات التي يهيمنون عليها . ومن هنا تصبح عنونتنا لهذا الصراع غير ذات موضوع ، لانها ستشمل عمل المهيمنين على المؤسسات الثقافية ، ومنهم من ليس معمرًا ، وسيدخل فيها ايضا ان الذي يحال بينه وبين نشر انتاجه وتحقيق ذاته قد لا يكون شابا .

اجل ، قد يفهم هذا في العنونة ، وفي معرفة حفيظة الشيوخ ، غير اننا قد نفهم في غير المعمرين الذين يصطنعون هذا اللون من القلبية فهما اخر يلحقهم بالمعمرين ويسلكهم في عدادهم من حيث تصرفاتهم ، وهو ان يكون هؤلاء قد تشيخوا في افكارهم ووقفوا عند خط معين من التفكير لا بعدونه ، ومن هنا فليسوا بغيريين على المعمرين ، وان كان هناك فارق السن ، لان العبرة في هذا المقام بتجانس التفكير ، لا بتجانس الاعمار ، فكم من معمر يسبق الشباب في الاستجابة لدواعي التطور ومواءمته للجيل الذي يعيش بينه ، وكم من شاب يفكر بعقلية المعمرين ، ويعيش ضيفاً بين أقرانه ولداته ، لانه وقف — عند السابقين — في التفكير ، واقام لايريم .

على ان هناك بعض الشيوخ قد نجح في ان يجمع حوله الشيع والاحزاب ليقوموا بالترويج له والطبل والزمر . وقد تبدو صورة هؤلاء الشيع وتلك الاحزاب في المتلمذين على ذلك الكبير الذي مكن لهم من معظم اجهزتنا الثقافية والفكرية نظير اخلاصهم في الدعوة لافكاره واحلالها في اذهان الابداء والمفكرين من الشباب بأساليبهم الخاصة التي رباهم عليها كبيرهم .

وقد ينشأ هنا سؤال هو أأزم يتضمن ان هذا ليس الا ضرباً من التلمذة الفكرية التي ينبغي التوسع فيها وتميئتها حتى تتطور حياتنا الثقافية وتزداد ثراء وقوة . غير اننا نقول في هذا المقام : ان التلمذة الفكرية اذا تحولت الى ضرب من الاحتكار والاثرة ، واذا أغلقت المجال في رجوه الآخرين وحرمتهم من ممارسة ثقافتهم وخبيرتهم في فرص متكافئة مع الآخرين ، اذا حدث هذا تفقد التلمذة الفكرية ، وقد فقدت رسالتها واستحال الى ضرب من القلبية التي تحرمنا من النظر الى الدنيا بعيوننا كاملة ، بل ولا نغالي اذا قلنا انها تحول مثقفينا شيئاً فشيئاً الى بيفاوات ناقلة تفقد القدرة على الابتكار والتواصل .

واذا آمننا النظر في هذا الصنيع لوجدنا انه ضرب من القتل الادبي للعناصر التي لاتحرق بالخور تحت ارجلهم بزعامه شيوخ هذه القبائل ، ولا تنتمي اليهم ، ولا تدين بموالاتها لهم ، وذلك عن طريق حرمان تلك العناصر من أي نسمة ضوء تنخلل الى انتاجهم ، ثم تهمل ذلك الانتاج مهما كان على درجة من الجودة ، بحيث يظل حبيسا في مكانهم بحجة البحث والفحص حتى يدوى ذلك الانتاج ويموت دون ان يرى النور ، او يحس بوجوده احد . .

ولكن كيف السبيل الى ذلك ؟؟

والسبيل الى ذلك سهل بسير ، يتضمن مقاطعة الانتاج من حيث نقده وبرازه والحديث عنه في الصحف والاذاعة والمجلات وغيرها من المؤسسات التي تتلقى بالرحب والسمة انتاج زملائهم ممن ينتمون الى القلبية اياها .

ونعتقد ان هذه العناصر لو شجعت ونالت التقدير الذي يكفله لهم السلوك الانساني الذي يعتمد على الكفاءة والامتنياز ، لا السلوك الفاني الذي يعتمد على الخطف والانتهاز . نعم لو نالوا التشجيع والتقدير لبذلوا الجهد والجهد ، والنفس والنفس في سبيل مايقومون به من عمل فكري ، ولا استهدفوا الزيادة في العمل والتجويد فيه ، بدلا من احجامهم ، وعدم اخلاصهم فيما يعملون .

عصية المذاهب الادبية :

ونمة صراع اخر يحدث بين القبائل الناقدة ، وينسم ذلك الصراع بالعرف والعصية التي تتم في جنح الظلام من هؤلاء الشباب الذين يريدون علوا في الارض ويريدون ان يكونوا شيئا مذكورا .

ويجمل بنا قبل ان نتحدث عن ذلك الصراع ان نتعرف على المذهب الذي وقف عنده الرواد لايريمون . وذلك لكي نعرف مدى البون بينهم وبين الشباب ، وبمكثنا ان نعرف بسهولة انه هو المذهب الرومانتيكي الذي قام على انقاضه المذهب الكلاسيكي في اوروبا في اواخر القرن الثامن عشر واول القرن التاسع عشر (١) . ولما كان هؤلاء من الذين ادركوا القرن التاسع عشر والقرن العشرين معا ، كان اول ماوقفت عليه عيونهم المنطلعة للقراءة هو الادب الذي يتفق ومبادئ المذهب الرومانتيكي ، خاصة وان جمهور الرومانتيكيين هم الطبقة الوسطى ، وهذا شيء يرضى كتابنا الكبار الى حد كبير ، لانهم يريدون ان تحصل الطبقة الوسطى التي يمثلونها آنذاك على حقوقهم السياسية والاجتماعية ، ومن هنا وجدوا جمهورا يقرأ لهم ، واعتمدوا عليه كل الاعتماد في قراءة ماكينون ، واصبح هؤلاء الرواد — الذين كانوا يعتبرون الى حد كبير مجددين — يعبرون عن مطالب طبقتهم الوسطى ويلبسونها ، ويعيشون في صميم مسائلها ومشاكلها . كما انهم انفوا ان يقتنعوا بمكان متواضع في المجتمع ، يعبرون فيه عن قيم لا تمثل حاجات طبقتهم الاجتماعية . على ان مسلكتهم والحق يقال كان يتفق والمشاعر الانسانية ، لانهم كانوا يدافعون عن طبقة مهضومة الحق ، وهي الطبقة التي نشأوا فيها ، وهم على وعي بانهم يقودون معركة التحرير ضد طبقات الطفيليين من الارستقراطيين ، فكان ادبهم بلا شك مبهدا لثورة ١٩١٩ في مصر ومصاحبا لها ، وذلك عن حرية وايمان برسائله الانسانية .

اجل وقف الرواد عند المذهب الرومانتيكي وعند مقتضياته فسي عالم الادب والفنون ، لانه المذهب الذي وافق رغباتهم في الادب والفن، وبمقتضاه يعبرون عن انفسهم وعن الطبقة الوسطى التي هم بعض لبنائها . .

وعلى هذا الاساس فان معظم تجاربهم انما جاءت وفقا لهذا المذهب الذي تشربت به ارواحهم واختلط بقولهم .

كما ان نقدهم لتجارب الآخرين انما يتخذ مقاييسه من مقاييس النقد الرومانتيكي وقد حدث هذا ، لانه المذهب الذي يحاول ان يجعل من طبقتهم شيئا مذكورا ، ويجعل من الادباء حراسا على مطالب الطبقة المتوسطة التي كانت تمثل السواد الاعظم من الشعب آنذاك . لانه يرضي نفوسهم الحالة التي تتخذ من الادب وسيلة للسمو بالمشاعر الانسانية .

ومن هنا فلا نعجب اذا وقفوا من الواقعية موقف المناويء لها ، المتربص بها ، وذلك لانهم قد لا يحسون بما يحدث لجمهورها — فيما يفلب على اعتقادنا — او انه لا يمكن ان ينفلوا بها بعد ان تشعبت ارواحهم بمطالب نفوسهم التي تمثل الطبقة الوسطى . .

على ان الشباب وان نشأ معظمهم نشأة رومانتيكية الا انهم وجدوا

(١) راجع الادب المقارن للدكتور محمد غنيمي هلال ص ٣٥٤ وما بعدها

سيطرتهم على الصحف - ضد الشباب الذين يتجهون اتجاهها ادبيا اخر
يفاير اتجاه الرواد الادبي . . اقول اذا كان الرواد قد حاربوا اصحابنا
في انتاجهم ، فان الاخرين قد قابلوا تصرف الرواد بالمثل ، وتعصبوا
لانفسهم ضد الرواد ومن يلوذ بهم ممن يعرقون لهم البخور تحسنت
أرجلهم ، وقد اتخذ هذا التصرف عدة مظاهر منها .
السيطرة على الصحف :

وتتمثل هذه السيطرة في أنهم وزعوا انفسهم على الصحف في
جميع أقسامها توزيعا من شأنه ان يسد الطريق على أي طارق للصحف
الا اذا كان ممن يؤمن بما يؤمنون به ، وتتفق آراؤه وآراؤهم ، ويكون
سلوكه متفقا لسلوكهم بحيث يكون ايجابيا مع من يناوئون اتجاههم الادبي
فيمنع تنفيذ أي حاجة لهم في مصلحته التي يعمل فيها .

ومن هنا ترى الصحف وقد جمدت على هؤلاء بحيث كان لايسمح
لمن يعارضون اتجاههم الادبي ان ينشر قصيدة او مقالة او خبرا او غير
ذلك ، سواء أكان كبيرا ام ذبلا لكبير ، في الوقت الذي ينشرون دائما
وابدا عن انتاجهم وعن انتاج غيرهم ممن هم على شاكلتهم . وحسبنا
ان نعلم انهم قد تناولوا دواوين وشعراء منهم او ممن يلتقون بهم ،
ويؤمنون بنسوتهم بالنقد والتحليل عشرات المرات في الصحف والندوات
الخاصة والعامه بحيث اصبح تكرر الحديث عنها امرا ملحوظا عند
جميع القراء ، والذي تقوله في هذه الدواوين يمكن ان تقوله في انتاج
الكثيرين ممن يعملون بالاذاعة من زملائهم واخوانهم الذين يجمعهم ذلك
الاتجاه الادبي معهم ، في الوقت الذي يقاطعون فيه انتاج غيرهم ممن
يناوئو اتجاهاتهم الفكرية والادبية ، او لايناوئها مثل الشاعر عبده بدوي
الذي انساق في اتجاههم الادبي وقال عدة قصائد على طريقة الشعر
الحر لتكون سبيلا له امام النشر في الجرائد والمجلات التي اوصدت
ابوابها في وجهه وأمثاله . وبالرغم من ان قصائده في الشعر الحر
قيمة من حيث قيمتها الادبية وغيرها ، الا انه رجع عن هذا اللون من
الشعر وندم على ما فرط منه كما تنص على ذلك مقدمة ديوانه الثاني .

وتسوفنا سيطرتهم على الصحف الى نوع اخر من السيطرة ، وهو
سيطرتهم على الاذاعة ، وكما رأينا سابقا ان الذين يعملون منهم في
ميدان الصحافة انما يروجون انتاجهم وانتاج زملائهم في المؤسسات
الاخرى ممن يتجهون اتجاههم الادبي والفكري ، كما رأينا ذلك ، فاننا
نرى هنا ايضا ان الذين يعملون منهم في ميدان الاذاعة والتليفزيون
يحولون بين من لم يكن معهم في اتجاهاتهم على اختلاف أنواعها وبين
الاذاعة والتليفزيون في جميع اركانها سواء أكانت أدبية ثقافية ، أم
اجتماعية سياسية او غير ذلك .

ودونك ايها القارئ الاذاعة مثلا ، واختر أي ركن من اركانها واستعرض
الاسماء التي تتعامل مع الاذاعة في تلك الاركان ، اصنع هذا علك تخرج
معي بان أسماء معينة وانتاجا معيننا هي التي تقوم بهذا العمل ، وهي
هي الاسماء التي تساعد المذيعين والمخرجين على النشر في الصحف في
مجلاتهم وجرائدهم .

وهؤلاء وهؤلاء وهؤلاء يمكنك بسهولة ان تلتقطهم في الليل من جماعاتهم ،
او ان شئت فقل جميعياتهم التي يجتمعون فيها ، وأؤكد لك ان ما أقول
لك ايها القارئ هو الحقيقة التي لامراء فيها ولا مبالغة ولا شطط .
ومعنى هذا ان الشباب يحاول ان يكيل بالكيل الذي يكيل به
الرواد ومن يعرقون لهم البخور امام مواقدهم ، وبين هؤلاء وهؤلاء فريق
من الناس ضاع بينهم ، وأصبح حاله في الميادين الادبية والثقافية كحال
من وقع بين « شقي رحى » .

اجل ، لقد تعصب الشباب كرد فعل لتعصب الكبار لاتجاههم الادبي
ووجدوا ان كل شيء يمكن ان يفهم في ابراز اتجاههم الادبي لابد ان
يقننصوه ، وبما ان المؤسسات الثقافية سيطر عليها الكبار ، فانهم قد
سيطروا بدورهم على الاذاعة والصحف ليعم الانتفاع بهذه الميادين المختلفة
في اوساط الشباب المتطلعين الى الثقافة على شيء من البساطة والبساطة
هنا تعني انهم يطلبنونها من الصحف والاذاعة ، ولا أمل للمتعبين ممن

انفسهم تانهين بتجاربههم التي كانت تمثل وجهة النظر الرومانتيكية بجوار
تجارب المماثلة الذين يسيطرون على الميدان الادبي بانتاجهم الوفير ،
والذي تشع منه سمات الرومانتيكية الحارة المتأججة ، وهم لا يريدون ان
يعيشوا امعات ، ولا ان يكونوا انطوائيين ازاء انتاجهم ، ومن هنا فانهم
تطلخوا هم الاخرون الى الادب العالمي وراحوا ينشدون فيه بغيتهم ، وما
لبثوا ان وجدوها ، وهي تمثل وجهة النظر الادبية الحديثة عند معظم
الادباء في العالم وهي الواقعية - التي آنف روادنا منها ، لانهم لا يستطيعون
ان يتمثلوها ، او يفعلوا بها او يجمهورها - فمكفوا على دراستها ودراسة
تجارب ادبائها ووقفوا عندها ، لكنهم والحق يقال وقفوا عند شيء جديد ،
لانه من ناحية ادبائنا جديد عليهم من ناحية الواقع الصرف ، لانهم وان
قراوها ، وان درسوها ، فانهم لا يفعلون بها ، وبالتالي لا يسمحون لانفسهم
بالكتابة بما يتفق ونظرة معظم روادها في العالم .

واما من ناحية جمهور القراء فهو شيء جديد عليهم كل الجدة لم
يسبق لهم التعرف عليه ، ومن هنا فانهم استقبلوا تجاربها في الادب
الموضوعي بالتهليل والترحاب كما يدل على ذلك رواج الصحف التي بدأت
تهتم بانتاج الشباب الواقعي الذي يستمد مادته من الطبقة الدنيا من
المواطنين .

واذا امعنا النظر في الطبقة المتوسطة التي وقف عندها الرواد
لوجدناها قد انزوت ، واصبحت تمثل عددا ضئيلا في هذا الوطن ، لانه
اذا صح انهم كانوا يكتبون منذ خمسين عاما او تزيد ، فمعنى هذا انهم
بدأوا ايام كانت الغالبية العظمى من الشعب تمثل الطبقة المتوسطة ، أي
انهم كانوا يكتبون ايام « الجدود » يعني آباء الآباء لهذا الجيل ، واذا
كانت ملكية آباء الآباء قد قسمت بين الآباء واخوتهم ، كان معنى هذا
ان الملكية قد وزعت الى بضعة أنصبة مثلا ، ثم يأتي بعد ذلك تقسيم
ملكية الاب على عدد الاخوة لكل مواطن من جيلنا نحن .

ومعنى هذا بتعبير اخر ان الرجل الذي كان يملك من الجدود ما يقرب
من ثلاثين فدانا ، فانها قسمت على المتوسط من عدد افراد الاسرة المصرية
وهو خمسة افراد . واذاً يكون نصيب الواحد منهم ستة افدنة وهو
جيل الآباء ، واذا قسمت ملكية الواحد منهم وهم آباؤنا على عدد ابناءهم
فان كل فرد سيخرج بفدان واحد تقريبا ، وهو لا يؤهله للطبقة الوسطى
باي حال ، بل انه يجمله من الطبقة الدنيا ، لانه لا يكفي بمطالبه
الضرورية .

ونخلص من هذا كله الى ان الطبقة الوسطى قد تحولت من الملاك
الى بعض كبار الموظفين وقليل ما هم .

ومعنى هذا ببساطة ان الرواد فقدوا عددا كبيرا من قرائهم ، لان
تجاربهم اصبحت لاتعبر عن مطالب الغالبية العظمى من المواطنين .

ولما كانت الصحف تهتم بما يرضي قراءها ، فانها قد شجعت
هؤلاء الشباب على الكتابة ، وذلك بنشر انتاجهم من ناحية ، وبالمكافآت
السخية من ناحية اخرى ، وزحف هؤلاء على الصحف والمجلات وتربصوا
على عرش صفحاتها الادبية . في الوقت الذي ذهب فيه ربح « القصائد
العصماء » واحاديث الكتاب عن سهراتهم وعن نزواتهم ، واصبح ممن
يكتب منهم ، انما يكتب اجابة لسؤال مهما كانت قيمة السؤال ، وهل
هي معبرة عن المواطنين أم لا ؟

وهناك فريق من الرواد آثروا الاعتكاف والانزواء ووضعوا القلم في
جرايه وراحوا في سبات عميق .

على ان الرواد وان فقدوا سيطرتهم على الصحف ، فانهم ظلوا
يحتفظون بالهيمنة على المؤسسات الثقافية التي تشجع الدارسين
والادباء . ومن هنا كان لابد لهم من اتخاذ موقف حاسم ضد هؤلاء العاقين
من الشباب الذين خرجوا على تقاليدهم واجماعهم ، وكان هذا الموقف
الذي اتخذوه انما يتمثل في مقاطعة انتاج الشباب الذين يختلفون معهم
في الرأي ، وينظرون الى الادب نظرة اخرى تفاير نظرهم اليه ، وقصروا
تشجيع مؤسساتهم على الانتاج الذي يتفق ووجهة نظرهم عند شباب
اخرين .

واذا كان هذا هو الموقف الذي اتخذته الرواد - الذين فقدوا

الشباب في الشيوخ ، ولا في الجيل الذي يليهم ، وحسبهم الشباب الذي يطمعون فيه كل الطمع ويتملقونه كل التملق ، لانهم رواده وكبار أدبائه .

ومن ثم فان السيطرة على الصحف والاذاعة وجميع ضروب الاعلام قد ضربت حائلا كثيفا بين هؤلاء الشباب وبين الرواد والجيل الذي يليهم ، والذين لا ينتمون الى هؤلاء ولا هؤلاء من الشيوخ او الشباب .

ويغلب على اعتقادنا ان هذا التناحر والتعصب الذي يقع بين الشيوخ والشباب في المذاهب الادبية ليس في صالح الوطن ولا في صالح

المواطنين . وانما يبعث على تأليف القليلات النقدية التي نعاني منها الان أشد المعاناة وأقساها ، نعاني من تلك الحملات والمعارك المسعورة ، والحروب الطاحنة التي تدور بين دعاة هذه المذاهب ، او بين انصار هذا الكبير او ذلك ، او بين أساتذة الجامعة الذين يستجرون في معارك تنزل بهم من المذهب الادبي والاتجاه الفني الى نوع من السباب ، وتتحرف كذلك تجاه الجانب الشخصي للمشتجرين ..

والعصبيات المعهدية :

وتحت هذا العنوان يوجد نوع من الصراع لا يقل خطورة عن الصراع السابق الذي يكمن في المذاهب الادبية ، وهذا الصراع تقوم به الطوائف المتعلمة في بلادنا العربية ، وتعاني منه جميع الميادين الثقافية والادبية التي تقوم بالقيادات الفكرية في وطننا أشد المعاناة ، لان مايقوم به البعض من المشاريع الثقافية مثلا يهدمه البعض الاخر بدعوى عدم صلاحيته وان كان السبب الحقيقي للرفض هو التعصب المعهدي - فيما يغلب على اعتقادنا - وهو فوق ذلك عفة كئود من اكبر العقبات واخطرها على طريق الاشتراكية ، ورذيلة من الرذائل التي تعاول ان تمزق وحسدة البلد الواحد وتعمل على تفتيت كيانه . وكيف لانعجب من هذا النوع من السلوك اذا وجدناه ظاهرا بيننا في الوقت الذي يجب علينا ونحن نبنى الدولة ان نجعل التعاون هو السياج الذي يحيط بقضايانا ويدعمها ، والا أصبحت العصبيات المعهدية بلا شك أقوى محط للرابطة الوجدانية بين طوائف الامة ، الامر الذي يهدم كثيرا عن الخلق الاشتراكي ، اذا صح ان الاشتراكية سلوك وأخلاق وفكر .

وحيثما نقول ((بالتعصب المعهدي)) فانما نقصد به التعصب لنوع الثقافة التي يقوم عليها هذا المعهد او ذلك ، ونحن نرى ان التعصب للثقافة ليس فيه ما يؤذي الا حينما يكون معناه احتقار ثقافات الآخرين ، وحيثما يكون هذا التعصب خطرا داهما حاطما يهدد الوطن العربي بشر مستنير لا قبل لنا به ، لاننا احوج مانكون الى ان نصرف الوقت الذي ننفقه في علاج أمثال هذه المشاكل الناشئة من تآصل الدعايات الاستعمارية في اذهان القارئ بهذا اللون العجيب من التعصب .. اننا في حاجة الى هذا الوقت للبناء في هذ الامة بدلا من انفاقه في الترميم لاساس واه .

ونحن نتساءل ، اليس من الممكن ان تقضي الدولة على العصبيات المعهدية .. تلك العصبيات التي تعاني منها جميع الميادين الثقافية والادبية والتعليمية التي تقوم بالقيادات الفكرية في وطننا ، ولعل تلك المعاناة التي تصادفها تلك الميادين هي التي دفعت الجمهورية العربية المتحدة الى الايمان بان الاشتراكية في الفكر أمر محتوم بين خريجي المعاهد المتناظرة ، لانه لايجوز بحال من الاحوال ان يظهر هذا اللون ، في الوقت الذي تنجحه فيه الدولة بجميع امكانياتها وطاقاتها الى جعل التعاون هو السياج الذي يحيط بالاشتراكية - بصفة عامة - ويدعمها ، وذلك بلا شك محط للرابطة الوجدانية بين طوائف المثقفين ، الامر الذي يهدم كثيرا عن الخلق الاشتراكي ، اذا صح في اعتقادنا ان الاشتراكية سلوك وأخلاق وفكر ..

فهذه هي الصراعات التي تمور بها القبائل النقدية في وطننا العربي ، والتي تأسست على الظاهرة العامة في شتى مجالاتها فسي التفكير العربي ، وهي انعدام روح الفريق التي ذهبنا الى انه كان لها أثر على التفكير العربي ، كان من نتيجة ظهور هذه القبائل التي تحدثنا عنها في مقالاتنا السابقة ، والتي كانت سببا في زلزلة القيم النقدية ، واهتزاز مبادئ انسانيين يتمثلان في تكافؤ الفرص ، والبقاء للأصلح . وذلك في الوقت الذي ينص الميثاق الوطني بصراحة على حرية الفساد في التعبير عن رأيه ومشروعية تكافؤ الفرص ، وذلك حينما يذهب الى ان جوهر الاديان السماوية تؤكد حق الانسان في الحياة والحرية ، ولا بد من وضع الفرصة المتكافئة امام البشر أساسا للعمل في الدنيا وللحساب في الآخرة ..

والى لقاء اخر ..

عبد الحفي دياب

القاهرة

في المكتبات:

المعاناة من أجل شيء

سرديات ذات فصل واحد
للاستاذ عبد الله القويري

الثن ٢٠٠ ق.ل

العيد في الأرض

قصص ليلية قصيرة
للاستاذ عبد الله القويري

الثن ٢٠٠ ق.ل

منشورات

المكتب التجاري

بيروت